عناصر الاتصال في الدرس اللساني بين القدامى والمحدثين: مقدمة في المعرفة اللغوية

رضوان منيسي عبد الله جاب الله (*)

الملخص

يقدم البحث مدخلا معرفيا لعناصر الاتصال في الدرس اللساني ببيان أدبيات نظرية الاتصال، ومضمون عناصر الاتصال في الدرس اللساني في التراث العربي ، وهو ما يمثل مقاربة معرفية تحدد الإطار العام لهذه العناصر، وتوضح بعض أشكالها، وتعكس تنظير المحدثين، وأوليات الاتصال اللساني في تراثنا اللغوي.

ويعالج البحث موضوعه بعرض مفهوم الاتصال والموقف الاتصالي وآليات الاتصال وتطور مفاهيمه في الدرس اللساني الحديث، وآلياته بجانبيه اللغوي وغير اللغوي في الحضارة الإنسانية، ثم تأصيل عناصر الاتصال في الدرس اللساني العربي بسرد موضوعاته. كما يعرض لعناصر الاتصال في تراثنا اللساني والتطبيقات المختلفة للمرسل والمستقبل والرسالة وقناة الاتصال والموقف الاتصالي.

والبحث بهذا يطرح أهم مفاهيم نظرية الاتصال في علم اللسانيات و من خلال المعلومات، ويوضح آليات الاتصال في الدرس اللساني الحديث، كما يربط بين اتجاهات الدرس اللساني من خلال مفاهيم الاتصال، ويؤصل لمفاهيم الاتصال الإنساني في التراث اللساني العربي.

الكلمات المفتاحية :الاتصال اللساني / المفهوم الاتصالي / الموقف الاتصالي / آلية الاتصال اللساني / عناصر الاتصال / مضمون عناصر الاتصال في التراث العربي/ التلقي والاتصال/ واقع الاتصال اللغوي عند العرب

* أستاذ اللغة العربية المساعد كلية الآداب - جامعة بني سويف.

The Elements of Communication between Ancient and Contemporary Scholars: An Introduction to Linguistic Knowledge

Radwan M. Abdu Allah

Abstract

This research paper introduces a cognitive entry for the elements of communication in linguistics through showing a literature review for the theory of communication, the concepts of the elements of communication in Arabic tradition. This makes it a cognitive approach sketches the outline of these elements, shows theirs forms and reflects the modern theorizing and the traditional roots of them.It deals its topic by presenting the concept of communication, the communicational situation, its techniques and the developing of its concepts in modern linguistics. It also presents the linguistic and non-linguistic techniques in the human civilization. In addition, it and extracts the roots of the elements of the communication in our linguistic tradition and the different applications of the sender, receiver, message, and the channel and situation of communication.

Thus, the research paper represents the most important concepts of the theory of communication in linguistics and information, shows the techniques of communication in modern linguistics, discusses the relations between the concepts of communication in the different linguistic trends, and explores the roots of these concepts in the linguistic Arabic tradition.

تمهيد:

يحاول هذا البحث أن يقدم مدخلا معرفيا لعناصر الاتصال في الدرس اللساني من خلال محورين أساسيين، الأول: أدبيات نظرية الاتصال، الثاني: مضمون عناصر الاتصال في الدرس اللساني التي برزت في التراث العربي، وبالجمع بين هذين المحورين يمكن أن نحصل على مقاربة معرفية تكشف لنا الإطار العام لمضمون تلك العناصر وتقوم برسم توضيحي لبعض أشكالها؛ مما يسهم في إخراج صورة متكاملة عن الفكرة الأساسية للبحث التي تجمع بين النظام النظري الذي أنجزه المحدثون والمضمون التطبيقي الوارد في التراث، ولتحقيق ذلك الهدف؛ عرض الباحث فكرته من خلال النقاط التالية:

1. التمهيد، يتناول أهداف البحث والتعريف بقضية الاتصال في الدرس اللساني الحديث من خلال المجال المعرفي لعلم المعلومات.
2. مفهوم الاتصال في الدرس اللساني ويعالج البحث من خلاله، التعريف بالمفهوم الاتصالي والموقف الاتصالي، وكذلك آليات الاتصال.
3. تطور مفاهيم الاتصال، ويعرض هذا المبحث لتطور مفاهيم الاتصال وآلياته بجانبيه، (اللغوي وغير اللغوي) في الحضارة الإنسانية.
4. مضمون الاتصال في التفكير اللساني عند العرب ونقدم من خلاله تأصيلا موضوعيا (سرداً حسب الموضوعات) لعناصر الاتصال في الدرس اللساني العربي.
5. عناصر الاتصال في الدرس اللساني العربي القديم ويقوم هذا المبحث على تفصيل كل عنصر من عناصر الاتصال في وقائع التراث العربي وتشمل: المرسل والمستقبل والرسالة وقناة الاتصال والموقف الاتصالي.
6. خاتمة بأهم النتائج العلمية والمصادر والمراجع.

أهداف البحث:

- أن يعرض البحث لأهم المفاهيم المتعلقة بنظرية الاتصال من خلال علمي اللسانيات والمعلومات.
- أن يوضح البحث آليات الاتصال في الدرس اللساني الحديث.
- أن يربط البحث بين اتجاهات الدرس اللساني من خلال مفاهيم الاتصال.
- أن يبين البحث مراحل التطور التي مرت بها عناصر الاتصال الإنساني بعامة والاتصال اللساني بخاصة.
- أن يقدم البحث التأصيل الموضوعي المناسب لفكرة البحث في الإنتاج الفكري اللساني عند العرب.
- أن يصف البحث مضمون عناصر الاتصال في الدرس اللساني العربي.
- أن يقترح البحث مجموعة من البحوث والدراسات العلمية المؤسسة على تلك الفكرة سواء في مجال الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) أو مطلق البحوث الأكاديمية.

2-1 الاتصال في الدرس اللساني:

تؤدي اللغة - بوصفها نظاماً للعلامات في المجتمع البشري- وظيفة مهمة وأساسية في الاتصال المباشر بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، كما تؤدي الوظيفة ذاتها بين المجتمعات البشرية بطريقة (الترجمة والتفسير)، وتمتد وظيفتها الاتصالية في نقل التواصل بين الأجيال المتعاقبة بطريقة "اللغة المكتوبة" فاللغة من أهم أدوات الاتصال الإنساني، ويبين (كارل ديتربوينتنج) أن المرء يمكنه ملاحظة الأفعال الاتصالية في اللغة واعتماد تلك الأفعال أدوات إخبارٍ وتواصل وقد أكد الفلاسفة قديماً وحديثاً تلك الخاصية الفريدة للغة حيث يبين أفلاطون أن اللغة أداة (أو أرجانون) وطور (بولر) نظريته اللغوية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي على أساس نموذج الأرجانون للغة مما كان له أكبر الأثر على مدرسة (براغ) وافترض فرضية أساسية مؤداها: اللغة أداة يخبر بها شخص ما غيره عن شيء ما في موقف اتصال وفعل اتصال من خلال النظام اللغوي. (بونتنج، 2003م، ص47)

ولا نستطيع حصر قضايا الاتصال في العملية اللغوية الآلية الضرورية الحادثة وحسب بين البشر؛ بل هي قضايا تمتد إلى الجوانب الإبداعية والفنية التي تتخذ أبعادا أكثر تعقيدا في الدرس والتحليل فالاتصال وإن غلب عليها الجانب الموضوعي الخالص أو الفكري المحض إلا أنه قد يضاف إليه عنصر ذاتي يهدف إلى التأثير في المتلقي وتحدث لأجل ذلك اختيارات لغوية تستخدم طاقات مختلفة من اللغة حسب القدرات الإبداعية.

يقول محمد عبد المطلب: (والباحثون - في محاولتهم خلق نظرية تطبيقية لعملية التوصيل-يتجهون إلى منهج تحليلي للرسالة اللغوية طبقا للعناصر الدلالية والجمالية للغتها ويتجهون -باهتمام أكبر-إلى العلاقات التي يمكن أن تقوم بين كل عنصرين من هذه العناصر وما يمكن أن تحتويه من توافق أو تخالف وما يترتب على ذلك من نقل المحتوى في شكل معين من الصياغة).(عبد المطلب، ص 218- 219).

واللغة في الواقع الفعلي للبشر تتمثل في أحداث كلامية يتلقاها مستمع لينتج أحداثاً كلامية ليكون المرء بين حالين من التكلم أو السماع منذ أن يستيقظ من فراشه في الصباح إلى أن يعود إليه آخر الليل ولا تقتصر أهمية ذلك على الحياة اليومية للفرد، بل تتعدى ذلك إلى أن تكون هذه العملية قوام الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأي جماعة بشرية، والتواصل اللغوي هو في حقيقته جوهر التواصل الثقافي والحضاري بين أجيال الأمة الواحدة، أو بين العصور المتعاقبة (كما يتجلى في نظام الكتابة، وذلك لكونه أهم نظام يسهم في تأمين تواصل الثقافة والحضارة واستمرارها بأعظم نصيب.(مصلوح،2000م، ص 4-5) لقد جعل "ابن خلدون" موضوع العلوم في خطابه مسألة متعلقة بالنقل بين الأجيال، فعلوم الخطابة تسمى العلوم المنقولة لكونها تمثل اتصالاً في العلوم واتصالاً في الفكر (توماس، 2003م،

ص 45)، ومن أكبر الأمثلة في تراثنا العربي أن اللغة العربية قامت بوظيفة التواصل بين عصرين متضادين؛ العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، لقد قطع الإسلام الصلة بالجاهلية في قطاعات واسعة من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، لكنّ الشعر وفنون الأدب استمرت لتحقق المفارقات الدلالية للتمييز بين العصرين المختلفين وتوضحها، (وقد أدرك العرب منذ أيام الإسلام الأولى أنه لا غنى عن التراث اللغوي في الجاهلية الذي كان معبأً بالدلالات والمعاني التي هي أدوات أساسية في تفسير القرآن الكريم جاء هذا الإدراك بالربط بين تفسير القرآن الكريم والشعر الجاهلي بما ألقى عليه حبر الأمة من صفات النبل والمكانة الرفيعة إذ الشعر ديوان العرب).(توماس، 2003، ص 38، 65وما بعدها)

2-1 مفهوم الاتصال:

أرجع الباحثون أصل كلمة اتصال (communication) إلى الاشتقاق من الكلمة اللاتينية (communis) ومعناها عام أو مشترك، واستنبط منها العلماء بعض المفاهيم والتعريفات، فقالوا: الاتصال عملية تتضمن المشاركة أو التفاهم حول شيء ما أو فكرة معينة. (مكاوي و السيد،1998، ص 23).

ويعد الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني، وهو سمة إنسانية أساسية، تبدو بسيطة في الظاهر، ويرى اللغويون أنها عملية معقدة جدا (بونتنج، 2003م، ص51) ولذلك احتاج الباحثون في تحليل هذه العملية وتبسيطها إلى الاستعانة بمفاهيم نظرية علم المعلومات ومصطلحاتها فيصير المتكلم مرسلاً، والسامع مستقبلاً، وما يقال خبر ينقل عبر قناة أو قنوات الاتصال، كما في شكل (1).

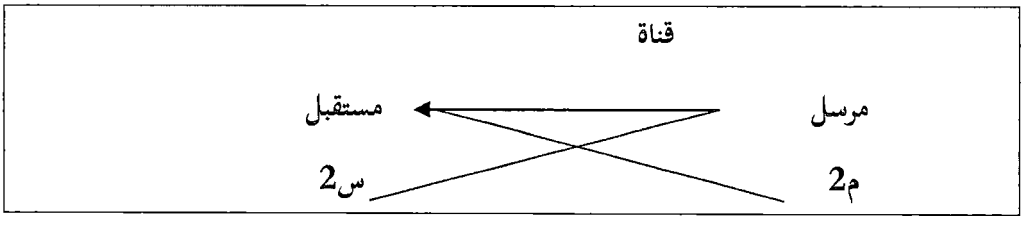

شكل (1) عملية الاتصال اللغوي.

ويبين الشكل السابق أن الاتصال لا يكون من طرف واحد بل من طرفين ويصير المرسل مستقبلاً والمستقبل مرسلاً.

ويمكن الاقتراب من مفاهيم الاتصال من خلال قراءة نظريات الاتصال بعامة والاتصال اللغوي بشكل خاص، فنجد أن كل نظرية تحدد للاتصال أهدافاً تنبع من فلسفتها ومن طبيعة المشاركين فيها، وكذلك درجة اهتمامها بنوع محدد من أنواع الاتصال أو إحدى وسائله وقد اتخذت نظريات الاتصال - على الجملة- اتجاهين عامين يعبران عن نماذج الاتصال.(مكاوي والسيد، 1998م، ص 41-48 بتصرف).

الاتجاه الأول: نماذج خطية أحادية الاتجاه (linear-models) وهي نماذج

تهدف إلى التأثير على أحد أطراف العملية الاتصالية وإقناعه بسلوك ما أو فكرة معينة أو محاولة التحكم فيه؛ ويمثل ذلك بجلاء (نموذج أرسطو) الذي قدمه في كتابه: فن البلاغة، وجعل تعريفها: البحث عن جميع وسائل الإقناع المتاحة.

الاتجاه الثاني: نماذج تفاعلية ثنائية (interaction models) ويمكن أن نمثل لها بنموذج (روس)، وهو نموذج يراعي طرفي الاتصال في كافة الجوانب وتتجاوز أهدافه، وغاياته أهداف الاتجاه الأحادي وذلك بتبادل التأثير والتأثر وتبادل المعلومات ومن ثم تنظيم المعلومات وتطوير الأفكار والمجتمعات ومحاولة التنبؤ لا التحكم؛ فالمرسل (sender) في مقابل المستقبل (receiver) والرسالة (massage) في مناظرة رجع الصدى (feed back) والوسيلة أو القناة (channel) في مقابل (context) السياق.

وهناك من يؤكد أن مفاهيم الاتصال تنكشف من خلال توضيح عناصر الاتصال المختلفة ولا يقتصر الأمر على المرسل والمستقبل والرسالة؛ بل يمتد إلى موقف الاتصال والمخزون المشترك أو الخبرة المشتركة.

2-2- موقف الاتصال:

هو موقف إدراك مشترك بين شريكي الاتصال، المتكلم والسامع حيث يدرك كلاهما الأشياء في البيئة بشكل خاص، والبيئة قسم مفتوح يشمل البيئة الموقفية التي تدرك من شركاء الاتصال، كما أنه يشمل الذاكرة والتذكر لطرفي الاتصال وعندما يحدث فعل الاتصال يقول المتكلم للسامع شيئاً عن الأشياء والموضوعات، أي يوجه من خلال العلامة إدراك السامع.(بونتنج، 2003م، ص50)

وقد أبدت المدرسة التوليدية التشومسكية اهتماماً ملحوظاً بأهمية موقف الاتصال في علاقاته الداخلية للغة التي تتمثل في مقدرة ابن اللغة على استعمال لغته وفهمها، وهو ما يسمح له باللجوء ضرورياً إلى الإدراكات وردود الأفعال الشخصية والخاصة والفردية المعروفة للمتكلم – السامع – على نحو مباشر، وعلى نحو غير مباشر إدراكات وردود الأفعال التي يستدل عليها في الآخرين من خلال كلامهم أو سلوكهم الآخر، وهذا من أجل تحديد المقبولية وعدمها، والصياغة المتساوية والتكافؤ، والصياغة الصحيحة وغير الصحيحة، وأحكام المتكلمين الخاصة عن الفروق وظلال الفروق الدلالية، وتحديدهم للملاءمة السياقية للمفردات وصيغ الجمل. (روبنز، 1997م، ص 344).

وتبرز أهمية المخزون المشترك أو الخبرة المشتركة في تأكيد اللغويين (field of experience) وأصحاب نظرية المعلومات على ضرورة رجوع شركات الاتصال إلى شفرة مشتركة تمثل مخزناً رمزياً للمعلومات يمكن إعادة تقديمه من خلال وسائل الاتصال التي تمكن أطراف عملية الاتصال من تناقل الأخبار. (مكاوي والسيد، 1998م، ص23).

ولذلك يتجدد في نموذج الاتصال في الغالب مجالات للشفرة مع مجال للتداخل، وقد بحث علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي العوامل التي تشترط في مجال التداخل أو الأجزاء غير المتداخلة لتملك ناصية اللغة، ويؤثر نطاق الخبرة والعادات والتقاليد والاتجاهات والسلوكيات والمعارف في عملية الاتصال، وحين يكون الأفراد الذين نتصل بهم لديهم خبرة حياتية مشابهة لنا؛ فإن فرص التفاهم وتحقيق الاتصال، يكون متاحاً بطريقة فعالة. (مكاوي والسيد، 1998م، ص47)

وحفل التراث العربي بتأكيدات اللغويين العرب أن كثيراً من الأساليب العربية والبلاغية، وكذلك دلالات الألفاظ لا يتحدد معناها إلا عند الاتصال في المحاورة والخطاب، كما لاحظت ذلك "ماجدة توماس" على ما ذكره ابن الأنباري في الاحتجاج لوقوع الألفاظ المتضادة، يقول: ويظن أهل البدع والزيغ والازدراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان في حكمتهم، وقلة في بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاورتهم، وعند الاتصال في مخاطبتهم " أي مخاطبة العرب " فَيُسْألون عن ذلك ما تحته ودال عليه يتوضح تأويله... (توماس، 2003م، ص 93)

وقال في موضع آخر: إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع صروفه.

3-2- آليات الاتصال اللغوي:

نقطة البداية في هذه العملية؛ هي أن يصوغ المتكلم فكرته في قالب لغوي يجري على سنن اللغة المشتركة بينه وبين سامعيه – وهي عملية مرتبطة في جوهرها بنشاط المخ، حيث تتولى وظائف المخ المختصة بضبط النشاط العصبي لأعضاء الجسم بإرسال تعليماتها على هيئة مثيرات عصبية تنطلق إلى أعضاء النطق ويسميها علماء الأصوات مرحلة التهيؤ، وبها يتحقق للرسالة المنقولة وجود لغوي (الخولي، 1990، ص 52)

وعندما تنشط أعضاء النطق لتعطي القالب اللغوي الصامت وجوداً مادياً يتحقق للرسالة الوجود النطقي، وتتم بذلك عملية الإرسال لتبدأ المرحلة الانتقالية بين المتكلم والسامع عبر الهواء والموجات الصوتية، ليتحقق الوجود الفيزيائي للكلام على شكل موجات صوتية، تدخل إلى الجهاز السمعي، وتتحول إلى مثيرات عصبية إلى المخ، فيتحقق للرسالة الوجود السمعي، وهناك تتم عملية تفسير الرسالة المسموعة فيزيائياً إلى رسالة لغوية، أي يتحقق لها الوجود اللغوي التام.

وقد بين " سعد مصلوح " (مصلوح، 2000م، ص6-8)، أن مراحل انتقال الرسالة اللغوية بوساطة الكلام تتضمن أربعة مستويات أساسية، تتعاقب ثلاثة منها عند المتكلم والسامع وبينهما المستوى الفيزيائي كما في شكل (2).

ويتضح من الترتيب أن **المستوى اللغوي** هو نقطة البداية ونقطة النهائية في آن عند القيام بعملية الاتصال، ومن هنا تستمد عملية اكتساب اللغة أهميتها، فلابد لطرفي الاتصال من أن يكونا على علم برموز الشفرة اللغوية وطريقة حلها؛ ليتمكنا

من تحقيق التواصل الارتقائي الفعال أو التفاعلي.

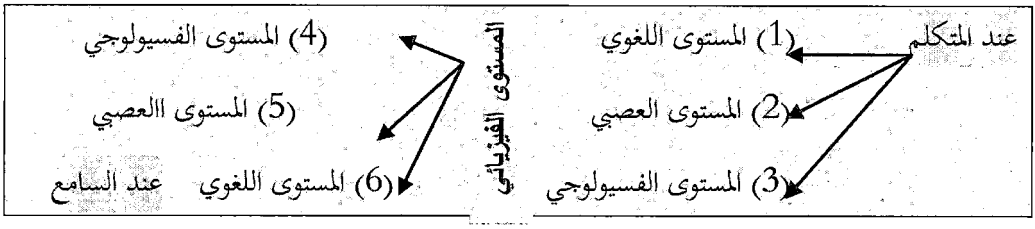

شكل (2) مراحل انتقال الرسالة اللغوية (رسم توضيحي لفكرة سعد مصلوح).

ويتبين أن هذه العملية تشتمل على سامعيْن لا على سامع واحد؛ ذلك أن الرسالة المنطوقة التي يقوم المتكلم بإرسالها ليستقبلها السامع إنما تصل في الوقت نفسه إلى مستقبل آخر هو المتكلم نفسه، وهذه العملية هي ما يسمى بالتغذية الراجعة (feed back)،مع ملاحظة أن وظيفة السمع تحتل المركز الأول للسامع، بينما تكون وسيلة مراقبة وتأمل لدى المتكلم نفسه لمعرفة مدى التطابق بين المعنى الكامن في نفسه والأداء اللغوي الذي قام به، وتقتضي الممارسة الاعتيادية للكلام تعاوناً بين مركز النشاط الحركي لأعضاء النطق ومركز السمع في المخ، ذلك أن الحوافز العصبية السمعية ذات أهمية كبيرة في ضبط أنماط التحركات التي تقوم بها أعضاء النطق(مصلوح،2000م، ص6-8)،وقد وضح الدكتور أحمد مختار عمر (عمر2003م.، ص45) العلاقة إجمالاً على النحو الموضح في شكل (3).

ومع أهمية توضيح الجوانب الفيزيائية والفسيولوجية وآليات انتقال الرسالة اللغوية، إلا أننا لا نستطيع إغفال أثر العلامة اللغوية، وطريقة فهمها، وإدراكها لطرفي عملية الاتصال، وهو ما جعل علماء اللغة يهتمون بأثر العلامة اللغوية في تحقيق الاتصال الناجح، أو الكفاية الاتصالية بين المتكلم والسامع، وقد ظهر ذلك في قول فولمرت (Volmert): عندما تدخل العلامات اللغوية في استخدام لغوي طبيعي؛ تكون قد دخلت في سياق اتصالي، وفي السياق تظهر الدلالات الممكنة، كما أن الوجود المحتمل لما يشار إليه من أشياء، يجسم المراد في الموقف الاتصالي، لا تستخدم العلامات اللغوية منعزلة، ولكنها تتعلق بعلامات أخرى... إن مقصد المتكلم الاتصالي، وقدرته اللغوية ومعرفته ونظرته إلى العالم، تؤثر في اختياره اللفظي الذي حدد دائماً انتقاء من الإمكانات التي يتيحها النظام اللغوي)،

(العبد، 2005م، ص 46)، ولتوضيح مفهوم العلامة اللغوية يقدم " بونتنج" وصفاً للعلامة اللغوية نجملها في العناصر الآتية:.(بونتنج، 2003م، ص48 بتصرف).

1 -العلامة وحدة في نظام (أي النظام اللغوي)، تتكون في الداخل من خلال أنظمتها الجزئية المتركبة من الجسد اللغوي (الشكل) والمضمون اللغوي (المعنى)، ولها في الخارج – بوصفها قوة ظاهرة (symptom)– وظيفة تعبير أي توصيل معلومات

عبر المتكلم: ما يرغب في قوله، وكذلك بأي طريقة يريد قوله (عبر تبعيته لمجموعة اجتماعية " لهجة أو طبقة أو جنس"، وعبر وضعه النفسي عند الكلام (ارتفاع الصوت- انخفاضه...).

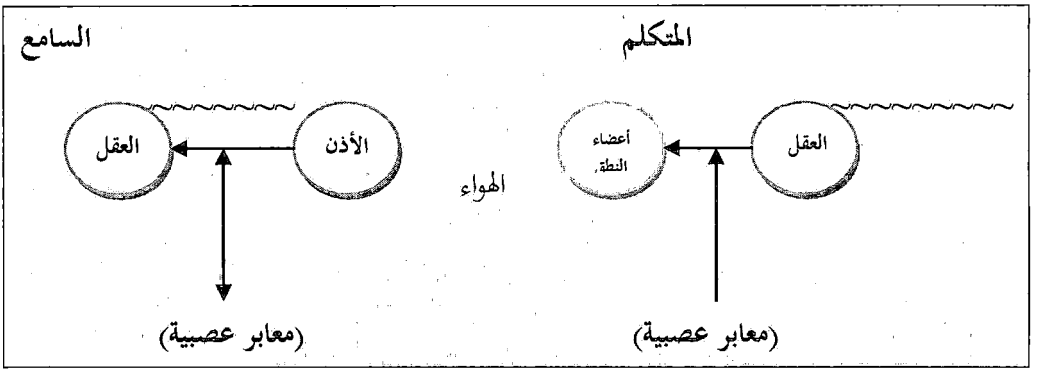

شكل (3) آليات انتقال الرسالة اللغوية (أحمد مختار عمر).

2 -وللعلامة – بوصفها رمزاً – وظيفة عرض؛ أي أنها تنقل معلومات عن أشياء وموضوعات وأفكار يتحدث عنها المتكلم.

3 -وللعلامة – بوصفها إشارة – وظيفة استقبال؛ أي أنها تنبه القارئ إلى ما يقوله المتكلم وبناءً عليه كيف يرد؛ والنظر إلى العلامة اللغوية في الاتصال من خلال الزوايا الثلاث السابقة (وحدة في نظام ورمز وإشارة) جعل " جورج لندبرج" يعرف مفهوم الاتصال بأنه؛ تفاعل بواسطة العلامات والرموز وجعل "موريس" يؤكد أن استخدام الرموز في الاتصال يهدف إلى تحقيق شيوع ومشاركة ذات مغزى...(مكاوي والسيد، 1998م، ص24).

2- 4- التلقي والاتصال

وقد أفاد النقاد من نظرية الاتصال في إطارها الشامل المأمول لتطوير نظرية فرعية لها عرفت بـ (التلقي)Reception Theory للكشف عن جماليات النصوص الأدبية وقام "روبرت هولب" Robert Holub بعرض أدبيات تلك العلاقة في مقال بعنوان(نموذج الاتصال: مستويات التفاعل بين النص والقارئ)(هولب، ص 249)،وقد عرض فيه موقف كل من (ياوسوإيزر)،Iser, H.R.Jauss من أن نظرية التلقي لابد أن تبلغ مداها في نظرية أعم في الاتصال و ساق (هولب) ما أكده (ياوس) في أكثر من مناسبة منذ عام 1966م. حيث يقول: (هنا- يريد محاضراته وأنشطته العلمية في مدرسة كونستانس بألمانيا الغربية- كانت محاولات الوصول إلىنظرية في تلقي الأدب وفيما يحدث من تأثير؛ قائمة أصلا على علم النص قد تم تطويرها على نطاق واسع إلى نظرية في الاتصال الأدبي، تقصد إلى تقدير الإنتاج والتلقي والتفاعل بينهما حق قدرها)، (هولبص 250و 253)، وبين(هولب) في مقالته

جهودهانز ألريخجمبرخت Gumbrecht Hans Ulirich تلميذ(ياوس) التي نظرت لعملية التلقي باعتبارها الجانب المقابل في عملية الاتصال الذي يفسر النص الأدبي من خلال إعادة تشييد المقصد الخاص بالمؤلف وعرفه بأنه المعنى الذاتي للنصوص بما هي فعاليات اتصالية وواكبت جهود هانز الدعوات المطالبة بإيجاد نموذج جديد للتلقي في السبعينات فكانت رؤيته توضح أن تغيير النموذج أحرى أن يكون على أساس فكرة الاتصال منه على أساس الأثر والاستجابة (هولب،،ص 255و 257).

حاول رولف جريمنجر Rolf Grimminger أن يدمج جوانب من اللسانيات وفلسفة اللغة في نموذج للتفاعل الكلامي الذي يركز اهتمامه على الحدث الكلامي بوصفه واسطة لنقل رسالة ما بين شخصين وميز جريمنجر نموذجه اهتمامه بالآثار الاجتماعية التي يستخرجها من النشاط الاتصالي. (هولب،،ص253و 266).

الاتصال عند (جنتر فالدمان) Gunter waldmannلا يستتبع مجرد نقل للمعلومة من طرف مشارك إلى آخر ولكنه أحرى أن يستتبع تحقيق المعنى من خلال منظومة من المعنى لها وجود سابق تضم المرسل لرسالة بعينها ومتلقيها من خلال التفاعل بينهما وينطلق "فالدمان" في بناء نموذج للاتصال يكون مناسبا لمنظومة المعنى بتحديد أربعة مستويات يحدث فيها الاتصال النصي اثنان منها يقعان خارج النص واثنان داخليان، المستوى الأول يشمل المؤلف والقارئ الحقيقيين كما يشمل مقاصدهما وتوقعاتهما والمستوى التالي يتشكل من الاتصال بين المؤلف والقارئ (هولب،،ص271-272).

3-1- تطور مفاهيم الاتصال اللغوي:

ربط علماء اللغة وعلماء الاتصال بين تطور الاتصال الإنساني والتطور الحضاري للبشرية، وقد أجمل الباحثون تطور الاتصال الإنساني من خلال نظرية الانتقالات. (مكاوي والسيد، 1998م، ص92-100 بتصرف)، في ست مراحل يغلب على كل منها طابع خاص.

1. عصر الإشارات والعلامات حيث عاش الإنسان مرحلة الصيد والالتقاط، وافترض العلماء أن تسود فيها لغة الجسد ولغة الأحداث الصوتية مثل الزمجرة والهمهمة والصراخ والدمدمة...
2. عصر الكلام والتخاطب وسيادة الرموز وارتبط ذلك بانتقال الإنسان إلى مرحلة الزراعة والاستقرار.
3. عصر الكتابة الذي ظهر في مصر وتطور في بابل وآشور وبلاد كنعان، ثم انتقل إلى كافة أنحاء العالم، وكانت مرحلة جديدة في التواصل الحضاري والثقافي بين الأمم.
4. عصر الطباعة الذي ارتبط بعصر النهضة الصناعية في أوروبا، وجاء القرن السادس عشر الميلادي وقد انتشرت المطابع بكثافة.

5. عصر الاتصال الجماهيري بعد تعدد وسائل الاتصال وسرعتها، مثل الهاتف واللاسلكي والإذاعة وخدمة التلفاز وانتشار الصحافة.
6. عصر الاتصال التفاعلي الذي شهد ظهور الحاسوب ومواقع التواصل الاجتماعي.

والمراحل السابقة تشترك فيها الأمم بفوارق زمنية تُعد قليلة إذا ما قيست بأعمار الأمم، وينطبق ذلك على أمة العرب إجمالاً، لا تفصيلا وسنقدم في هذا المبحث تطوير مفاهيم الاتصال عند العرب من حيث واقع الاتصال في بيئتهم ومن حيث إدراك العلماء العرب لمفاهيمه.

3-2-1-تطور الاتصال اللغوي في التراث العربي:

يمكن أن ننظر إلى الاتصال اللغوي عند العرب من جانبين:

الجانب الأول: واقع الاتصال اللغوي في الحياة العربية منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي الزاهر وما تلا ذلك إجمالا.

الجانب الثاني: إدراك اللغويين العرب لمفاهيم الاتصال اللغوي وأدبياته وتطبيقاته، العلمية وفي كلا الجانبين تقدم إضاءة سريعة ولكنها شاملة في الجانبين، تؤدي بعض التوضيح لنظرية الاتصال الأدبي في الثقافة العربية، وظروف البيئة الخاصة، لها وبخاصة في عصور التكوين الأول (الجاهلي والإسلامي)، وكذلك عصور الازدهار (العباسي الأول والثاني)، ولا نهدف إلى الإحصاء، أو الاستقصاء.

3-2-2- واقع الاتصال اللغوي في حياة العرب:

سادت في مرحلة ما قبل الإسلام عند العرب وسائل الاتصال اللغوي الشفوي على ما سواها، فهم في الجملة أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب، وكانت معرفة القراءة والكتابة شبه معدومة أما الوسائل الشفاهية التي تعتمد على الاتصال المباشر فكانت هي قوام المجتمع البشري العربي قبل الإسلام وترتب على حاجة المجتمع الشديدة للتواصل وانعدام الوسائل، ازدهار الأدب الشفاهي ممثلاً في الشعر والخطب والأمثال التي اتخذت لها منابر وقنوات جامعة في جزيرة العرب، تمثلت في الأسواق الأدبية على هامش الأسواق التجارية (سوق عكاظ وسوق ذي المجاز)، ومواسم الحج، ومناسبات قيام التحالفات أو الحروب، أو المصاهرات بين القبائل المختلفة وكان الشعر أهم وسائل التواصل الاجتماعي بين العرب وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً وأعلاها منزلة، وكان للشاعر في القبيلة منزلة لا تقل أهمية عن منزلة كبير الفرسان أو شيوخ القبيلة، لما له من تأثير في رفع الروح المعنوية لأفرادها، أو في حفظ أنسابها وتسجيل غزواتها، وحروبها، وتاريخها، وتعريف كافة القبائل بها، والتعريف بعناصر قوتها مما يحقق لها المهابة والمنعة؛ ولم تتحقق هذه المكانة للشعر والشعراء إلا بوجود سوق رائجة للشعر ومستمعين مستمتعين بهذا الفن الذي صار أهم فنون العرب وأكثرها إبداعاً، وبلغ من انتشار الشعر وتأثيره - وما من

عربي إلا وله مسكة من أدب في الجاهلية- أن الشاعر يؤثر في مكانة أقوام بمدحه و ثنائه أو بذمه وهجائه (مما يزخر به طبقات فحول الشعراء) وجاء العصر الإسلامي فتفتحت آفاق جديدة لم يكن للعرب عهد بها لقد اتصلت الأرض بالسماء بنزول الوحي بلغة عذبة جميلة معجزة تأخذ بالألباب، وتذهب بالعقول في ملكوت السموات وآفاق الأرض كما ترددت في أنحاء الجزيرة العربية كلمات الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- تبعث الأمل، وتحقق العدل، وتبشر المؤمنين، وتنذر الظالمين، فهي أعظم رسالة تلقاها العرب ليست برسالة شاعر، ولا كاهن، ولا ساحر، إنها رسالة رب العالمين ومبلغها المعروف بينهم بالصادق الأمين، وهي بلسان عربي مبين، هي رسالة ليست خاصة بقريش ولا بالعرب، إنها رسالة للناس أجمعين بل تتجاوز ذلك إلى أن تكون رحمة للعالمين.

وتسامع العرب بالرسالة و الرسول، وأرسل النبي - ﷺ - رسله يبلغون فحوى رسالته لقبائل العرب واتخذ لذلك كتاباً، وما لبث أن أرسل رسله خارج الجزيرة لفارس والروم ومصر (انظر: مجموعة الوثائق في العهد النبوي لمحمد حيدر آبادي)، واتخذ لذلك كتاباً آخرين... وتعددت وسائل الاتصال وعظمت وحمل العرب المسلمون الرسالة في عهد الخلفاء الراشدين حتى وصلوا بها شمال أفريقية ووسط آسيا، ثم ازداد اتصالهم في عهد بني أمية حتى وصلوا إلى أوروبا، ويمكن إجمال أهم وسائل الاتصال في العصر الإسلامي على النحو الآتية:

1. استمرت وسائل الاتصال الشفهية، وتمثلت في الرواية، والسماع للقراءات القرآنية والأحاديث النبوية ولتراث الشعر الجاهلي، والأدب الجاهلي، وأيام العرب في الجاهلية، واتخذت أشكالاً جديدة في المساجد والأسواق الجديدة (أسواق البصرة والكوفة...)، ومجالس العلم، ومجالس الخلفاء، والأمراء وأضيف إليها السيرة النبوية ثم سير الخلفاء ثم السير الشعبية بعد ذلك في عمومها.
2. ازدادت الألوان الجديدة من الخطابة؛ فصارت خطبة الجمعة في كل مدينة ثم في كل حي، وخطبة الولاية، أو قيادة الجند، وهناك الخطب الجامعة مثل: خطبة الحج، وخطب الأعياد والمناسبات الجامعة، خطبة تولي الإمارة أو الخلافة أو تسيير الجيوش وإعادة انتشارها مثل خطبة موسم الارتباع كل عام في مصر.
3. استحدثت وسائل جديدة من أهمها:انتشار الكتابة والقراءة ورواية العلوم وتدوينها وتوثيقها، وصدور الإجازات العلمية والسفارات مع الدول، وهيئة البريد الإسلامية، واستحداث المدارس النظامية، وتعريب الدواوين، وتعريب الناس (تعريب الناس؛عبارة استخدمها القدماء في تعليم اللغة العربية لغير العرب)، وتبادل الرسائل الإخوانية والديوانية بين الأفراد أوبين مؤسسات الدولة.
4. ازدياد وسائل الاتصال الحضاري والثقافي والتجاري؛ نظرا لتأثير القرآن الكريم وارتباطه باللغة العربية، يقول ر.هـ. روبنز (روبنز، 1997م، ص171): كتاب

الله المقدس وكلام الله الموحى به للرسول – ﷺ – كان هو رباط الوحدة على نطاق الأراضي الخاضعة للعرب كلها، ورباط الولاء الإسلامي الشامل منذ القرن السابع فصاعداً، وكان واجباً على المؤمنين غير العرب أن يتعلموا اللغة العربية لقراءة القرآن وفهمه... كما نشأت الحاجة لموظفين، يعلمون الإداريين والرسميين اللغة الرسمية للإمبراطورية الإسلامية، وهكذا احتل تدريس العربية في العالم الإسلامي مكانة مماثلة لتدريس اللاتينية في الإمبراطورية الغربية. بين قارات العالم القديم بعد أن أمَّن المسلمون - وفي القلب منهم العرب – الطرق والممرات وسيطروا على المضايق ونشروا الأمن والأمان، وصارت بغداد والبصرة والكوفة والقاهرة وقرطبة عواصم للحضارة الإنسانية يقبل عليها طلاب العلم من كل مكان.

5. ترجم العرب التراث القديم لليونان والفرس، ووصلوا بين الحضارات الإنسانية، وصارت اللغة العربية أكبر وسيلة اتصال في العالم لمعرفة القديم من تاريخ البشرية والجديد من مستحدثات العرب والمسلمين وانتشرت ملايين المخطوطات العربية في قارات العالم الثلاث، وقدم العرب رسالة حضارية للعالم عبر وسائل مختلفة.

2- حركة الفتوحات العربية وضرورات الاتصال:

في أول اتصال حضاري جماعي للعرب بغيرهم من الأمم في حركة الفتوح، أدرك العلماء بعد هدوء حركة الفتح أهمية اللغة كوسيلة أساسية في التبشير بالدعوة للإسلام وأداة رئيسة في فهم كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ– وعمود صلب من أعمدة الهوية العربية الإسلامية؛ بسبب هذه المتغيرات الجديدة طُرحتْ عدة تساؤلات في أوساط النخبة من أهل العلم والفكر والسياسة شكلت وعيا مبكرا لإيجاد فلسفة في التعليم تجعل من اللغة العربية جسرا للتواصل البناء مع الآخرين وتعريفهم بقيم الدين الجديد، و تتمثل تلك التساؤلات فيما يأتي:

كيف نحمي لسان العرب من اللحن، ونحفظ أصالتهم اللغوية؟

كيف نعرّب الناس الذين يدخلون في الإسلام؟

ما هي الوسائل التي تُعزز الوجود اللغوي في مؤسسات الدولة الإسلامية الوليدة؟

وتطلبت الإجابة عن التساؤل المجتمعي الأول مبادرات من العرب في البلدان المفتوحة بشكل فردي، تمثل في إرسال أبنائهم لبوادي العرب وإحداث تواصل شفاهي يعتمد على السماع والتلقي المباشر للرسالة اللغوية التفاعلية بين وافد المدينة أو الحاضرة والأسرة البدوية الفصيحة التي يعيش معها، واقتصر ذلك على طبقة من الناس، وبادر عدد من أهل الفكر في إيجاد وسائل اتصال علمية منظمة بين مصادر اللغة العربية البريئة من اللحن والجمهور الراغب في التلقي فشد العلماء رحالهم إلى بوادي نجد والحجاز، يجمعون اللغة من أفواه الأعراب يسجلونها ومن ثم يضعون الأنظمة المناسبة لها، ويعودون مرة أخرى لتعليمها وتلقينها وروايتها في حواضر البصرة، والكوفة، وبغداد، وغيرها وقام هؤلاء العلماء المتطوعون بدور

قناة الاتصال بين جيلين؛ جيل العرب الأقحاح، وجيل العرب المولدين مما مثل اتصالاً لغوياً ثقافياً مؤثراً تناقله الأجيال حتى يومنا هذا. وفيما يخص التساؤل المتعلق باللغة التي يُعَرَّب عليها الناس الجدد من بين لغات العرب أو لهجاتهم نشأت فكرة اللغة الفصحى، أو اللغة العالية التي وجدوها في القراءات القرآنية المتواترة، أو قل اللغة المشتركة التي سادت في مكة المكرمة قبل الإسلام وبعده وكانت هذه الفكرة وراء إيجاد نظم لغوية تشمل كل جوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ونبعت فكرة تعريب الناس - العرب والأعاجم- (أي تعليمهم اللغة العربية الرسمية التي تتوافق مع متواتر تلاوة القرآن الكريم ورسمه العثماني)، بدأت بالأعاجم، ثم امتدت للعرب بعد ذلك. وتعريب الكلام الأعجمي مما احتاجه العرب من ألفاظ الحضارة (من الفارسية واليونانية والرومية والحبشية والقبطية والهندية...) وتطويع تلك الكلمات للسان العرب وبخاصة ألفاظ الحضارة فاللغة العربية امتدت في الأعاجم فعربتهم، وما امتد إليها من كلام العجم عربته فاتسع مجالها الفكري والثقافي مواكبا اتساع نطاق ولاية العرب جغرافياً وسياسياً. (جاب الله، 2009، ص).

وفي محور التساؤل الثالث الذي يشير إلى وسائل دعم قنوات الاتصال اللغوي داخل المجتمع وخارجه وجدنا مبادرات ابتكارية غيرت وجه المنطقة، فالأمويون يتخذون قراراً سياسياً بتعريب الدواوين الفارسية والشامية والمصرية، مما فتح التواصل بين كافة دواوين الدولة، وظهر ديوان الإنشاء الذي يقوم بدور قناة الاتصال الرئيسة التي تمر عبرها الرسائل، والمعاهدات، والمناشدات، والتوجيهات بصورة شاملة للدولة الإسلامية، مما أوجد سيلاً من الرسائل عبر قناة منضبطة بلغة احترافية دقيقة وفصيحة.

وعلى هدي الحكام مع الدواوين والأمراء أرسل الأدباء والعلماء رسائلهم الشخصية فيما عُرف بالرسائل الإخوانية، وهي رسائل ذات قيمة أدبية وفنية عالية انتشرت في المجتمع الإسلامي على سبيل المقطوعات الفنية التي يقلدها كثيرون في مقدماتها وخواتيمها، وشاع فن الرسائل الأدبية في المجتمع فظهرت في أوائل العصر العباسي أنواع جديدة من الرسائل ذات طابع معرفي وثقافي عام فظهرت رسائل فنية في حب الأوطان، ورسائل في القضاء، ورسائل في الفكاهة، ورسائل في الجدل. ولعل من أبرز تلك الرسائل رسائل الجاحظ وابن المقفع وغيرهما من الأدباء البارعين، وامتد الأمر أن تكثر الرسائل على لسان الحيوانات والطيور والجمادات فتشمل الحيوان والطير والأحياء والأموات، وصارت الأرض بمن عليها تتكلم العربية: البشر، والحيوان، والنبات! وأخذت أبعاداً جديدة في الإصلاح والموعظة والتهذيب، وكذلك في التأمل الفلسفي والتفكير العقلي والاجتماعي والسياسي، كما نجد في رسائل أبي العلاء المعري وهي رسائل تبين الإدراك الشامل لأعماق المجتمع من قبل النخبة الثقافية وكذلك من الأدباء والمبدعين وتؤكد على أهمية الاتصال، وضرورة توسيع مجالاته عن طريق العناصر المعروفة للاتصال، وهي المرسل والمتلقي والرسالة ووسيلة الاتصال.

ولا نستطيع أن نهمل دور القارئ الذي تعارف عليه الكتاب وهو تلقي

الجمهور له بالقبول، وكانت الأمة إذا تلقت كتاباً بالقبول حتى في المجال الفقهي (كما نجد في موطأ الإمام مالك أو الجامع الصحيح للإمام البخاري)، أدى ذلك إلى علو منزلة المؤلف فالقارئ هنا له أثر مباشر في نشر الرسالة، وهو ما ينطبق على المؤلفات الأدبية التي ما تكاد تظهر في بغداد حتى تتلقاها قرطبة ويرجع صداها في بغداد، فالتلقي متاح بالقراءة المباشرة على صاحب الرسالة، أو من هو مجاز منه. وظل نظام الاتصال المباشر في السماع الفردي والجماعي معمولاً به في كافة وجوه العلم والمعرفة حتى عصر الطباعة عندما اقتصر الأمر على تلقي قراءة القرآن الكريم سماعاً مباشراً وليس عن طريق التعلم الذاتي في المصحف إلى يومنا هذا.

5. عناصر الاتصال في التفكير اللساني عند العرب

وإذا أردنا أن نلقي نظرة شاملة على الثقافة اللغوية حول عناصر الاتصال في التفكير اللغوي عند العرب، سنجد قدراً كبيراً من المؤلفات التي تهتم بكل عنصر من عناصر الاتصال على حدة فضلاً عن البحث اللغوي الشامل لكل العناصر وسنقتصر هنا على المؤلفات التي تعالج تلك العناصر، بشكل مباشر ومختصر.

1/5: ما يختص بالمرسل (الكتاب / الشاعر / الخطيب...):

ظهر مع إنشاء الديوان الخاص بالكتابة (ديوان الإنشاء) في عهد بني أمية فن خاص بالشروط الواجب توافرها في الكاتب والمؤلف والمبدع عموماً على شكل نصائح وتوجيهات، ودورات علمية يقدمها كبير الديوان للراغبين العمل في هذا الديوان بادئ الأمر ثم تطورت إلى مؤلفات مثل: أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري، والشعر والشعراء له كذلك(ابن قتيبة، 1966،1963م.)، وأدب الكاتب للصولي، (الصولي، 2003م.) والتنبيهات على أغاليط الرواة، لعلي بن حمزة البصري (البصري، 1967م.)، وما تلحن فيه العوام لعلي بن حمزة الكسائي (الكسائي، 1982م.)، وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز القيرواني (القيرواني، 1971م.)... وهي مؤلفات تحاول التثقيف اللغوي للكاتب أو الشاعر أو الخطيب حتى يتمكن من استيفاء العدة الإبداعية التي تؤهله للقيام بهذا الفن وهذه المؤلفات تفوق الحصر عند التتبع والإحصاء، ويكفي أن نقول: إن العرب قد توجوا تلك المؤلفات بالموسوعة الكبيرة في الشروط الثقافية والفنية واللغوية الواجب توافرها لمن يتصدى لكتابة الرسائل في الكتاب الموسوم بـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (القلقشندي، 1987م.)، وهناك عشرات المؤلفات التي عكف العلماء على إخراجها لتجنيب المؤلفين والمبدعين الوقوع في الخطأ أو اللحن أو التباس المعنى مثل: ذم الخطأ في الشعر، لأحمد بن فارس (ابن فارس 1980م.)،وسر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (الخفاجي،1982م.)، ودرة الغواص في أوهام الخواص للحريري (الحريري، 1975م.)، وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي(الصقلي، و ابن الجوزي، 1964-1966م.)، ولحن العوام للزبيدي، وهو يريد بالعوام عامة المثقفين والكتاب، فلأهمية المبدع حرص العلماء على تزويده بالأنظمة اللغوية المناسبة، وإمداده بالمصادر المعرفية الأساسية ووضع المنهج المناسب لتقديم رسالته، الإبداعية للناس بأفضل طريقة ممكنة تحقق لها القبول والانتشار.

2/5: ما يخص الرسالة أو الشفرة اللغوية:

وقف العلماء العرب من لغويين وبلاغيين أمام الرسالة في جانب المضمون وقفة متعددة الجوانب ومن أهم تلك الجوانب، فيما يخص اللغويين هو أن تكون الشفرة اللغوية واضحة الدلالة، مؤدية لغرض المتكلم، مفهومة لدى السامع ولا يتم ذلك إلا بشروط لغوية تخص الرسالة، فمن أسباب حدوث اللبس وقوع اللفظ على معنيين أو أكثر مما عُرف عند اللغويين بالمشترك اللفظي (الأصمعي، 1987م.)، فوضعوا لذلك المؤلفات التي تحاول أن تحصر الألفاظ التي عَمّتْ مرائيها (توحدت صورتها اللفظية) وخصت معانيها(كراع النمل، 1976م.)، أو التي اشتبهت ألفاظها (تماثلت) واختلفت معانيها أو ما اتفق لفظه واختلف معناه... (المبرد، 1350ه.).

أو ما عرف عموماً بكتب الأشباه والنظائر (جاب الله، 2008م، ص 104-118)، واهتموا بنوع من المشترك اهتماماً متبحراً، وهو أن يقع اللفظ الواحد على معنيين متضادين؛ مما عرف بألفاظ الأضداد في اللغة العربية، وحاولوا جمعها، وحصرها في عشرات المؤلفات، وقدموا حولها البحوث والدراسات. (عبد التواب، 1999م، ص 337-357).

وإن كان اللبس مصدره الصيغة الصرفية وضعوا ما يعرف بالفرق بين (فعل وأفعل) وألفوا فيه عشرات المؤلفات، وإن كان مصدر اللبس التقارب الدلالي الشديد فيما يعرف بالمترادفات (الأصمعي، 1987م.)، وضعوا كتب الفروق اللغوية(الأصمعي، 1987م.)،سواءً أكانت فروقاً دلالية منبعها السياق اللغوي، أو الارتباط التاريخي للدلالة، أو المصاحبة اللغوية، أو كانت تلك المترادفات بسبب الاستعمال المجازي للألفاظ الخاصة بالحيوان في سياقات خاصة بالإنسان، أو الاستعمال المجازي للألفاظ المختصة بالإنسان في المجال الدلالي للحيوان، فوضعوا في معالجة ذلك ما يسمى بكتب (الفَرْق) (السجستاني، أبو ثابت، 1987م.)، ويقصدون به الفرق بين ما يستخدم للإنسان وما يستعمل للحيوان... كما رصدوا دلالة الألغاز والأحاجي في التورية الدلالية التي لا يدركها إلا ذو فطنة، وألفوا ما يعرف بكتب الملاحن، كما نجد في " فتيا فقيه العرب(جاب الله، مفهوم اللحن، 2008م، ص 225-233)لابن فارس وملاحن ابن دريد (جاب الله، مفهوم اللحن، 2008م، ص233-234)، وهذه المؤلفات تخدم جميعها العلامة اللغوية التي تؤثر في وصول المعنى شافياً كافياً مفهوماً لدى طرفي عملية الاتصال. ويطول بنا المقام إذا عرضنا لشروط الصحة الصوتية، ومصدرها، وأسباب الخطأ في النطق الصوتي الذي تتعدد أسبابه، مثل: الفروق بين الضاد والظاء (ابن مالك، الزيجاني، 1983م)، أو ألقاب اللهجات العربية، التي قد تسبب انقطاع الاتصال؛ فبينوا خصائص اللهجات العربية وما يقبل منها وما يرد من الطمطمانية والكشكشة والعجعجة والعجرفة... إلى آخره(عبد التواب، 1999م، ص 116-162)، وكذلك شروط صحة البنية اللفظية، وسلامة التأليف النحوي، وحسن اختيار الكلمات على حسب المقامات والمواقف المختلفة....(جاب الله، 2009م.).

3/5: المتلقي (السامع):

المتلقي أو السامع باصطلاح القدماء هو الهدف الأساسي من تجويد أداء المؤلف أو الخطيب أو الشاعر، وكذلك هو المقصود بالرسالة ونجد أن الثقافة العربية والإسلامية وضعت القارئ والمستمع في مكانة عالية تجعله الحكم على المرسل وعلى مضمون رسالته بقولهم: (التلقي بالقبول)العسقلاني، 1412ه.)،(وهو مصطلح يشهد للرسالة سواءٌ أكانت قصيدة شعر أو خطبة نثر أو كتاباً مؤلفاً في علم أو فن – بأنها على أعلى درجات العمل العلمي أو الفني، وذلك لأهمية المتلقي واقتناعه بالرسالة وتأثره بها، فالقارئ العربي المثقف له دور في إيجاد مشروعية قبول لغوية أو أدبية أو دينية، ولذلك وضعوا الآداب والشروط التي يجب توفرها في السامع أو المتلقي، ليكون قادراً على الفهم والاستيعاب، ولديه الكفاءة التي تمكنه من التمييز بين الغث والسمين، وتولد لديه الرغبة في إجابة الرسالة (التغذية الراجعة)، ولذلك اتخذوا من المثل العربي شعاراً في المؤلفات الخاصة بآداب السامع والراوي (البغدادي الرامهرمزي، 1412ه، ص 16)، من حسن السمع والإنصات ليتمكن من حسن الإجابة بقولهم: "ساء سمعاً فساء إجابة" وتسلحه بالوعي والتركيز والفهم لما يسمع، واتخذوا من حديث النبي - ﷺ- (نضّر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها، أو بلغها كما سمعها فرب مَبَلَّغ أوعى من سامع)، (الدمشقي، 2004م.)

ولما كانت جماهير القراء على درجة من الوعي وحسن السمع وحسن القراءة في عصور الازدهار، كان حكمها وتلقيها بالقبول للعمل يجعله من أرقى الأعمال وأفضلها، ولذلك نسمع في أسباب ذيوع موطأ الإمام مالك والاهتمام به هو تلقي الأمة له بالقبول، ونسمع العبارة ذاتها في سبب ارتفاع منزلة كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري لدرجة عالية في كتب السنة الصحاح، وكذلك في الشعر والنثر، فالشاعر ما حدا بشعره الركبان!، والكاتب الحقيقي ما اقتبس من أدبه الكُتّاب!.

4/5: قناة الاتصال

اهتم العرب بوسائل توصيل الرسالة المسموعة والمقروءة، ففي الرسائل المسموعة اهتموا بالمكان الذي يقف فيه المرسل، فإن كان خطيباً فلابد أن يقف في مكان مرتفع، وإن كان خطيباً في المسجد وقف على المنبر، وصنعوا للمساجد القباب التي تساعد على كثافة الصوت وإسماعه للجميع واهتموا بوجود رديف للإمام والخطيب إذا كانت الجموع غفيرة وكبيرة يردد ما يقوله الخطيب والإمام... ولذلك اهتموا بالقباب والمنابر والمنائر وألفوا في ذلك المؤلفات سواءٌ التي تخص الشعراء في المحافل أو تخص الخطباء في أحكام المساجد (الجراعي، 2004م.)، وآداب المجالس، وكل ذلك يوفر البيئة المواتية والجو المناسب لحسن الأداء وحسن الاستماع[1].

1. تعددت طرق التحمل والأداء للعلوم المختلفة وكان المحدثون أسبق إلى وضع الشروط والمواصفات الواجب توافرها في قنوات الاتصال في ذلك الوقت مثل: السماع، والعرض والإجازة والمناولة والمكاتبة

أما في الرسالة المقروءة فكان حسن الخط وجماله لجذب القارئ والتأثير فيه من الوسائل المساعدة في عملية الاتصال بين المبدع والقارئ وحذروا من الأخطاء الإملائية، ووقوع التصحيف والتحريف[2]، وأكدوا دقة الضبط والأداء[3]، والتحمل والتأكيد على المكتوب بالمسموع وجاءت العبارة الشهيرة في الثقافة العربية: لا نأخذ القرآن عن مصحفي، ولا العلم عن صحفي، أي لابد من مراجعة القرآن بالسماع المباشر من الشيخ، والعلم لا يعتمد فيه على الكتابة فقط بل أيضاً بمتابعة شيخ يجيز هذا العلم المكتوب، ويثبت صحته ويوثقه ويفسره لطالبه.

وهذا المختصر الذي قدمناه لرصد عناصر الاتصال في الفكر اللغوي عند العرب لا يكفي لبيان مفصل، بل هو مفتاح لعمل دراسات شاملة حول كل عنصر من هذه العناصر، وتقديم رسائل علمية في كل عنصر من عناصر الاتصال اللغوي عند العرب.

والإعلام والوصية وصيغ التوثيق

2. انظر: على سبيل المثال: التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني، تحقيق؛ الشيخ محمد حسين آل ياسين، بغداد، 1967م.
3. الحرص على ذكر الأسانيد في كل العلوم حتى قيل بأن العرب (أمة السند).

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

رصد البحث مجموعة من النتائج البحثية والتوصيات العلمية يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- وضح البحث مفهوم الاتصال كما يراه العلماء المعاصرون وبين آليات الاتصال وموقف الاتصال.
- ربط البحث بين تطور الاتصال الإنساني بعامة والاتصال اللساني على وجه خاص وجعل ذلك موطئا لمعرفة واقع الاتصال عند العرب.
- رصد البحث واقع الاتصال وأهم مظاهره في حياة العرب في الجاهلية وفجر الإسلام فيما قبل مرحلة الفتوحات؛ لارتباطه بما جاء بعدها.
- ناقش البحث فلسفة وجود عناصر الاتصال اللساني عند العرب من خلال ضرورات فرضها واقع الاتصال الحضاري الكبير الذي نشأ مع الفتوحات الإسلامية وانفتاح العرب على أمم وشعوب كثيرة ولكون العرب يحملون رسالة الإسلام ويرغبون في توصيلها لتلك الأمم.
- بين البحث عناصر الاتصال اللغوي في التراث العربي بداية من المرسل / الشاعر/ الراوي / المبدع... مرورا بالرسالة وقناة الاتصال وانتهاء بالمستقبل / السامع / المتلقي... وتمثل هذا التبيين في كشف المؤلفات التي عالجت تلك العناصر منذ بداية التأليف العلمي عند العرب والتعريف بها.

ثانياً التوصيات:

يوصي البحث بالمقترحات العلمية الآتية:

- تقديم دراسات علمية مستقلة حول كل عنصر من العناصر التي طرحها البحث على اعتبار أنها تفتح آفاقا جديدة للبحث العلمي ويمكن صياغة محاورها في الصياغات التالية:

1- عمل دراسات عن تأثير الالتقاء الحضاري بعد الفتوحات على عناصر الاتصال اللساني في اللغة العربية وتطور آلياته

2- عمل دراسات عن الموقف الاتصالي في التراث العربي وعلاقة ذلك بالمقالات البلاغية في مقتضى الحال

3- عمل دراسات تتناول الرسالة اللغوية من حيث الشكل والمضمون والشروط في التراث العربي وأهم أجناسها الأدبية وأبرز أنواعها

4- عمل دراسات تتناول شخصية المرسل وأدواته وفلسفته اللغوية ومدرسته اللغوية للمرسلين المحترفين بخاصة وبصورة قريبة من ذلك للمرسلين الهواة

5- إجراء أبحاث مستقلة حول القارئ العربي وتأثيره في اتجاهات التأليف والإبداع في العصور السابقة وأنواع القراء الذين كتبت لهم رسائل مباشرة (رسائل / كتب / آداب...) مثل الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم..وكذلك القراء الضمنيين في المجتمع.

6- القيام بأبحاث تعالج رجع الصدى والارتداد العكسي للمؤلفات اللغوية قضية التأثير والتأثر بين المؤلفين في المدرسة الواحدة أو في النطاقات الجغرافية المتقاربة أو المتباعدة أو حتى بين لغات أخرى مختلفة عن اللغة العربية.

المصادر والمراجع:

1- ابن الأجدابي، إبراهيم أبو إسماعيل بن عبد الله. (1986م). كفاية المتحفظ و نهاية المتلفظ؛ تحقيق عبد الرزاق الهلالي. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

2- ابن الجوزي، أبوالفرج عبد الرحمن.(1966م.).تقويم اللسان؛ تحقيق عبد العزيز مطر. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

3- ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله.(1354ه.). تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم؛ تحقيق محمد هشام الندوي. الهند: حيدر آباد.

4- ابن طباطبا.(1956م). عيار العشر؛ تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام. القاهرة: المكتبة التجارية.

5- ابنفارس.(1980م). ذما لخطأ في الشعر؛ تحقيق رمضان عبدالتواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.

6- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم.(1963م).أدب الكاتب؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.ط1. القاهرة: المكتبة التجارية.

7- _____. (1966م.). الشعر والشعراء؛ تحقيق أحمد شاكر. ط4.القاهرة: دار المعارف.

8- ابن منظور، محمد بن مكرم.(د.ت.). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

9- أبو العلاء المعري، أحمد بن عبدالله بن سليمان. (1984م). رسالة الصاهل والشاحج؛ تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. القاهرة: دار المعارف.

10- أبو عرقوب، إبراهيم.(1993م). الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي.ط1. الأردن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

11- الأصفهاني، حمزة بن عمارة. (1967م). التنبيه على حدوث التصحيف ؛ تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين.ط1. بغداد: مطبعة المعارف.

12- الأصفهاني، أبو الفرج.(1961م). الأغاني. القاهرة: دار الكتب المصرية.

13- الأصمعي، عبد الملك بن قريب.(1987م). ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه؛ تحقيق ماجد حسني الذهبي. دمشق: دار الفكر.

14- البصري، علي بن حمزة.(1967م).التنبيهات على أغاليط الرواة؛ تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي. القاهرة: دار المعارف.

15- البغدادي، الخطيب.(1412هـ). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تحقيق؛ محمد عجاج الخطيب.القاهرة: مؤسسة الرسالة.

16- بونتنج، كارل ديتر.(2003م). المدخل إلى علم اللغة؛ ترجمة سعيد حسن بحيري. القاهرة: مؤسسة المختار.

17- توماس، ماجدة حانة.(2003م). اللغة والاتصال في الخطاب متعدد المعاني؛ ترجمة ماري شهرستاني. دمشق: الدار المصرية اللبنانية.

18- جاب الله، رضوان منيسي.(2008م). آيات الفتح في القرآن الكريم: دراسة دلالية مقارنة. القاهرة: دار النشر للجامعات.

19- _____.(2008م). مفهوم اللحن: دراسة في المعرفة اللغوية. مجلة

علوم اللغة، مج 11،ع4. القاهرة: دار غريب
20- _____.(2009م).الفصحى: الدلالة الاصطلاحية ومستويات التطبيق اللغوي. مجلة فكر وإبداع، ع 52. القاهرة: مكتبة الآداب
21- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب.(1950م). البيان والتبيين؛ تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: دار المعارف.
22- الجراعي، أبو بكر بن زيد. (2004م). تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد؛ عناية صالح النهام وآخرون. الكويت: وزارة الأوقاف.
23- الجرجاني، عبد العزيز. (2009م.).الوساطة بين المتنبي وخصومه؛ تحقيق محمد أبو الفضل وعلى محمد البجاوي. بيروت: المكتبة العصرية.
24- الجمحي، محمد بن سلام.(1974م.).طبقات فحول الشعراء؛ تحقيق محمود شاكر.القاهرة:مكتبة المدني بالعباسية.
25- حميد الله، محمد.(2009م). مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة. ط8. بيروت: دار النفائس.
26- خضر، سناء.(1999م).النظرية الخلقية عند أبي العلاء ا لمعري. القاهرة: دار الوفاء.
27- الخفاجي، بن سنان.(1979م). سر الفصاحة. بيروت: دار الكتب العلمية.
28- الخولي، محمد على.(1990م). الأصوات اللغوية، الأردن، عمان: دار الفلاح.
29- الدمشقي، عبد الباسط بن موسى بن محمد بن إسماعيل 981هـ.(2004م.).المعيد في أدب المفيد والمستفيد؛ تحقيق مروان العطية. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
30- دينس، ماكويل و وسفن، ويندل.(1417ه). نماذج الاتصال في الدراسات الإعلامية؛ ترجمة حمزة أحمد المزيني - الرياض: الجمعية العلمية السعودية للغات والترجمة.
31- الرامهرمزي، القاضي الحسن بن عبد الرحمن.(1412ه) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي؛ تحقيق محمد عجاج الخطيب. القاهرة: دار الفكر.
32- رشتي، جيهان أحمد.(1978م.).الأسس العلمية لنظريات الإعلام. ط2. القاهرة: دار الفكر العربي.
33- روبنز، ر. هـ. (رجب 1418 هـ /تشرين الثاني 1997م). موجز تاريخ علم اللغة في الغرب؛ ترجمة أحمد عوض. سلسلة عالم المعرفة، ع277.
34- الزبيدي، أبوبكر محمد بن حسن.(1964م). لحن العوام؛ تحقيق رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
35- الزنجاني، أبو القاسم سعد بن علي بن محمد.(1983م). الفرق بين الضاد والظاء؛ تحقيق موسى بناي علوان العليلي.العراق: وزارة الأوقاف.
36- السجستاني، أبو حاتم وثابت، بن أبي ثابت.(1987م). كتابان في الفرق. بيروت: نشر حاتم صالح الضامن.
37- الصاوي، علي سيد.(يوليو 1997م). نظرية الثقافة: مجموعة مقالات لكتاب غربيين؛ ترجمة. سلسلة عالم المعرفة ع 223.
38- الصقلي، بن مكي.(1410هـ.). تثقيف اللسان وتلقيح الجنان؛ تحقيق عبد العزيز مطر. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

39- الصولي، أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد.(1341هـ.). أدب الكتاب؛ تصحيح محمد بهجة الأثري. القاهرة. متاح علىhttp://www.alwarraq.com (2013م).
40- العبد، محمد.(2005م). النص و الخطاب والاتصال. ط1. القاهرة: الأكاديمية الحديثة.
41- عبدا لتواب، رمضان.(1999م). فصول في فقه العربية. ط6. القاهرة: مكتبة الخانجي.
42- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر.(1929م). مقدمة فتح الباري في شرح البخاري. القاهرة: المطبعة الميمنية.
43- العسكري، أبو هلال.(1971م). كتاب الصناعيين؛ تحقيق البجاوي وأبو الفضل. القاهرة: دار الفكر العربي.
44- فضل، صلاح.(أغسطس 1992م). بلاغة الخطاب وعلم النص. سلسلة عالم المعرفة ع 164.
45- الفلاحي، أحمد علي إبراهيم. (2009م). فلسفة الدين والحياة عند أبي العلاء المعري.العراق: دار الشئون الثقافية.
46- القلقشندي، أحمد بن علي. (1987م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا؛ شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين وأخرون. بيروت: دار الكتب العلمية.
47- قمبر، يوحنا.(1995م). فلاسفة العرب: أبو العلاء المعري. بيروت: دار المشرق.
48- القيرواني ، القزاز.(1971). ما يجوز للشاعر في الضرورة؛ تحقيق المنجي الكعبي. تونس: الدار التونسية.
49- القيرواني، ابن رشيق.(1955م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. القاهرة: المكتبة التجارية.
50- كراع النمل، أبو الحسين علي بن الحسن الهنائي. (1988م). المنجد في اللغة؛ تحقيق أحمد مختار عمر وضاحي عبدالقادر. القاهرة: عالم الكتب.
51- الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة. (1982م). ما تلحن فيه العامة؛ تحقيق رمضان عبدالتواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
52- المبرد. (1989م). ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد؛ تحقيق؛ أبو رغد أحمد محمد سليمان.الكويت: وزارة الأوقاف
53- مبروك، مراد عبد الرحمن. (2006م). مدخل إلى نظرية الأدب. جدة: دار إشراقات للنشر والتوزيع.
54- محمد، عزة شبل. (2009م.). علم لغة النص: النظرية والتطبيق. القاهرة: مكتبة الآداب.
55- المركز الثقافي العربي.(1993م) . بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي. ط2. بيروت: المركز الثقافي العربي.
56- مصلوح، سعد عبد العزيز. (2000م). دراسة السمع والكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك. ط1. القاهرة: عالم الكتب.
57- مكاوي، حسن عماد و السيد، ليلى حسين.(1998م). الاتصال ونظرياته المعاصرة. بيروت: الدار المصرية اللبنانية.
58- الموسى، فيروز. (2009م). فلسفة المعري في الخير والشر (من خلال اللزوميات)

ضمن مهرجان أبي العلاء. سوريا: وزارة الثقافة.
59- الميداني،أبو الفضل أحمد بن محمد. (د.ت.) مجمع الأمثال؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.القاهرة: دار المختار.
60- الهمذاني، عبدالرحمن بن عيسى. (1992م). الألفاظ الكتابية.القاهرة: المطبعة الرحمانية.
61- هيشن، كلاوس. (2003م.). القضايا الأساسية في علم اللغة؛ ترجمة سعيد حسن بحيري. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار.
62- ولاس، مارتن.(1998م). نظريات السرد الحديثة؛ ترجمة حياة جاسم محمد. الكويت: المجلس الأعلى للثقافة.